فلسفة الفكر القومي عند ساطع الحصري

أ.م .د. حازم مجيد احمد الدوري م.م. صادق عبد الرحمن السامرائي
جامعة تكريت / كلية التربية – سامراء / قسم التاريخ

المقـــــــــدمة

ساطع الحصري عربي من بلاد اليمن ، تنقل مع عائلته بين الشام ومصر وصنعاء بحكم عمل مع والده . أكمل دراسته في الكلية الملكية الشاهنشاهية في عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول . امتهن التدريس في المدارس الثانوية ولا سيما دول البلقان . عين استاذاً للتربية في جامعة اسطنبول له مؤلفات منهجية درست في المدارس العثمانية وله ميول للكتابة والتأليف ترأس تحرير العديد من المجلات.

لاحظ عن كثب معاناة شعوب دول البلقان وهي تسعى الى التحرر وتحقيق وحدتها القومية واطلع على أحوال التعليم في البلاد الأوربية وتوصل الى قناعة بأن التعليم هو أفضل وسيلة لغرس الأفكار القومية ونتيجة لإحتكاكه بالبلاد الأوربية واطلاعه على الحركة القومية فيها ومعايشته لجور الدولة العثمانية على البلاد العربية تمخض لديه انطباع فكري خاص في اختزال مقومات القومية الى عاملين أساسيين هما اللغة والتاريخ المشترك وغيرها ثانوي او مفرق غير موحد فأستبعده .

قدم خدماته التربوية والتعليمية للحكم الفيصلي في سوريا والعراق . وكان يرى في التعليم الوسيلة المثلى لبناء الفكر القومي العربي لدى النشئ الجديد . له مؤلفات عديدة في القومية العربية ، تلخصت فلسفته القومية بإيمانه العميق بالقومية العربية ويجب على ابناء الأمة دراسة الفكر القومي والدعوة الى الإستقلال والحرية وتكوين امة واحدة وان الصراع بين القومية والإقليمية سينتهي بإنتصار القومية والوحدة العربية

"مفهوم القوميـــــــة"

القومية هي مجموعة من الروابط الثقافية الناجمة عن تعايش مجموعة بشرية في مكان واحد ولها تاريخ واحد ومصالح مشتركة [١] ومفهومها انبثق من التجربة العربيـــة ويـــرفض استخدام تجربة القوميات الأخرى لأكثر من الاطلاع والاستنارة واغناء الثقافة، القومية هـــي حب قبل كل شئ، وان أول ما يجب عمله لتحقيق الوحدة العربية هو إيقاظ الشعور بالقوميـــة العربية وبث الإيمان بوحدة هذه الأمة[٢].

والقومية في ابسط معانيها تعني الشعور المحبب أو المعزز بالانتماء إلى أمه، لذا فأن القومية العربية هو الشعور بالانتماء إليها موجود منذ أن وجد العرب أنفسهم وعبر مراحـــل التاريخ[٣].

والقومية العربية المعاصرة تجد جذورها في ثلاثة مصادر رئيسية تتوافق مع ثلاثـــة ادوار تاريخية رئيسية وتنفصل هذه الأدوار بعضها عن بعض في فترات متباينة وهي عهـــود ما قبل الإسلام التي انتهت في القرن السابع للميلاد، العهود الإسلامية التي امتدت حتى القرن التاسع عشر، والعهد الحديث مازال مستمرا [٤].

فالقومية إذا هي انتماء وشعور وعمل أما كونها انتماء فأن الأفراد الذين يتكلمون لغة واحدة ويعيشون على بقعة معينة تربطهم ثقافة واحدة وتاريخ مشترك وعادات وتقاليد متوارثة وتجمعهم لغة واحدة توحد شعورهم وآمالهم وأفراحهم ، فشعور الفرد يقوي اعتزازه وارتباطه بقوميته، وأما كونها عملا فأن الفرد الذي يعمل لصالح أمة معينة كأن يدافع عنها أمام أعدائها ويشعر بشعور أبنائها ويتثقف بثقافتها ويتكلم لغتها ويعتز بتراثها وحضارتها فهو منها حتـــى وان لم يكن من دمها أصلا، لان إنسانية القومية لا تستند على الدم وإنـــــما علـــى الـــشعور والعمل والانتماء[٥].

ويرى بعض المفكرين إن القومية في مظهرها الداخلي ضرب من الإحساس والوجدان[٦].

والقومية مفهوم حديث، إنها فكرة سياسية اجتماعية ظهرت بشكلها العلمي الدقيق في أوربا أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر وقد تبلورت على أوضح صورة في الثورة الفرنسية بأفكارها ومثلها وتشريعاتها وشعاراتها، ومن فرنسا انتقلت إلى أقطار أوربية عديدة بطريق التأثير الفكري أولا وبسبب الاحتكاك العسكري ثانيا، وقد كانت حروب نابليون من الدوافع القوية في إثارة الروح القومية في أكثر من قطر واحد، وان الفكرة القومية قد انتقلت إلينا مع غيرها من الفكر عن الغرب [٧].

إن مصطلح القومية العربية في القرن التاسع عشر لا يعني أو يمثل عنوانا لأيدلوجية فكرية محددة في الوطن العربي وإنما كانت الدعوة إليه إنما تمثل شعارا لحركة ذات نزوع إلى الاستقلال من الدول العثمانية والدول الأوربية ، والنصف الأخير من القرن التاسع عشر في الوطن العربي كان يمثل المناخ الفكري الذي نشأت وترعرعت فيه وبين تقلباته فكرة القومية العربية وحركة التحرر العربي بصورة عامة من حيث الزمان والمكان [٨].

والنزعة القومية العربية وتوجهاتها السياسية ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر [٩].

وقد تأثرت بالمعطيات التي وفرتها القوميات الأوربية وفي مقدمتها الثورة الفرنسية التي ارتبطت ثورتها بالعديد من المفاهيم الاجتماعية والفلسفية (الحرية والإخاء والمساواة) ذات الأبعاد الإنسانية الشاملة[١٠].

وهذا لا يعطي انطباعا بأن الوعي العربي الحديث في الاتجاه القومي كان مقلدا للقوميات الأوربية بل انه كان استجلاء وتبيان للهوية العربية وامتدادا للوعي العربي عبر التاريخ بعد أن تأثر بتلك الآراء في العصر الحديث (١١).

إن القومية العربية هي نتاج ظروف من السنوات الأولى من القرن العشرين وان النهوض القومي العربي كان يعود إلى عاملين رئيسيين هي النفوذ الغربي المستفحل وسياسة التتريك العثمانية ، مثل هذا الانطباع العام عورض من جهتي نظر مختلفتين:-

فبعض الكتاب أنكروا على العرب هذه القومية وتجاهلوا خصائصهم القومية كما فعل (لويد جورج) رئيس وزراء بريطانيا الأسبق ، ويزعم كاتب صهيوني إن دولة العراق كانت مخلوقا مصطنعا وانه في نهاية العهد العثماني لم يكن هناك شئ اسمه القومية العراقية (١٢).

وعلى الضد من ذلك رسم القوميين العرب المتحمسون صورة وردية لوحدة وتلاحم العرب في التاريخ وآمنوا بالوجود (الأزلي) للأمة العربية الموحدة (١٣).

فمثلا في عام ١٩١٩ في مؤتمر الصلح بباريس قال الملك فيصل إننا كنا عربا قبل زمن (إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) (١٤).

وفي عام ١٩٢٠ دافع فيصل عن قضية القومية العربية في مؤتمر الصلح بباريس إذ أعلن انه "يندّر أن تكون هناك أمة متجانسة مثل العرب" (١٥).

والقومية العربية هي عقيدة سياسية اجتماعيه اقتصاديه تقوم على الإيمان بان العرب حيثما كانوا أمه واحدة حقها المقدس أن تعيش حرة في جميع أجزاء وطنها الممتد في قارتين عظيمتين ، وعلى الإيمان بما أنجزت الأمة العربية في الماضي والإيمان بقدرتها على الإبداع في المستقبل مع الحفاظ على تراثها وخصائصها الأصلية ،وتهدف هذه الحركة إلى الكفاح ضد

المستعمر والاستعمار على اختلاف أنواع وتجمع أجزاء هذا الوطن كلها وإقامة كيان سياسي عام مشترك تتحقق في ظله العدالة الاجتماعية لأفراد الأمة جمعاء [١٦].

والنظرية القومية نظرية واقعية تستقي مبادئها من حياة الأمة العربية، كما تستقي مبادئ كل قومية من حياة الأمة التي تظهر فيها [١٧].

وان مبدأ القومية في عقيدتنا يؤكد على تساوي أمم المجموعة الإنسانية وعلى حق كل امة في السيادة وتقرير المصير، ضمن حدود عدم المساس او الاعتداء على حقوق الأمم الأخرى في سيادتها وتقرير مصيرها فهو مبدأ يحرم إذن تدخل امة في شؤون الأمة الأخرى خلافا لإرادتها ومصلحتها [١٨].

وان القومية العربية الحديثة مدينة بولادتها لحركة كان هدفها الرئيسي الإطاحة بحكم الفرد ، وقد بدأت أول ما بدأت احتجاجا على المركزية وذريعة إلى إدخال الطرائق الديمقراطية في الحكم وظلت القومية العربية حتى العقد الثاني من القرن العشرين مجرد عرض طارئ إلى جانب الحركة الشاملة العامة آنذاك حركة الإصلاحات الدستورية ولم تحل النزعة الانفصالية محل النزعة الإصلاحية إلا بعد أن تحطمت الآمال بالإصلاح تحطما عنيفا قاسيا، فالقومية العربية إذن وديمقراطية القرن التاسع عشر التحررية كانتا في بواكيرهما متشابكتين أوثق التشابك [١٩].

إن القومية العربية ليست هي القومية الغربية التي ولدت في الأسواق البرجوازية أي إنها قومية الشعب الكادح والجماهير المعدمة وليست قومية برجوازية أو إنها مقولة برجوازية، وبالتالي فان القومية العربية لن تحمل الطابع البرجوازي ذلك لأنها ولدت في غمار الكفاح العربي العام المشترك ضد الاستعمار [٢٠].

"نشوء القومية العربية"

"عوامل ظهور القومية العربية"

جاء إخفاق مصر في توحيد الوطن العربي أبان النصف الأول من القرن التاسع عشر أكثر من صدمة سياسية لقدرة الشعب العربي خلال سير تيقظه إذ كان سببا في انشقاق عقائدي بين الأجزاء الآسيوية والأجزاء الأفريقية من الوطن العربي لم يلتئم بعد حتى اليوم وكان لـــه نتائج بعيدة المدى لأنه وقع في زمن كان العرب يجتازون أثنائه اخطر مرحلة مـــن مراحـــل نموهم أي عندما كانت القيم والعقائد والأخلاق وضروب الولاء متـــشابكة، وكـــان المجتمـــع العربي بجملته يعاني من تجدد شامل كامل، لم يكن اثر الضغط الأوربي الاستعماري يقل عن القوى الفكرية الداخلية التي سرت مع الوعي العام في صياغة مختلف الاتجاهـــات بمختلـــف الحركات [٢١].

ويرى بعض المفكرين العرب إن النهضة الحديثة في الوطن العربي بدأت بـــالاحتلال الفرنسي لمصر ١٧٩٨، فقد أفضت إليه بمفاهيم الغرب التي نقلتها الحملة الفرنسية، وأسهمت هذه النهضة في إحياء الآثار الأدبية القديمة على يد المدارس والمطابع التي أدخلت إلى سوريا ومصر [٢٢].

كذلك أدت إلى انتشار الفكرة الأوربية في القومية على مدى واسع في دنيـــا العـــرب فانضاف إلى كره العرب للحكم التركي واعتزازهم بتراث الماضي شعور جديد من الـــسخط على تعديات الغرب [٢٣].

"خصائص القومية العربية"

أتسمت القومية العربية بخصائص سامية منها:-

ـــــ القومية العربية ليست عنصرية.

ـــــ اشتراكية تدعو إلى تدخل الدولة لزيادة الإنتاج وتحقيق العدالة الاجتماعية.

ـــــ شورية تؤمن بسيادة الأمة وتعد مصلحتها قبل كل شئ وترى في الديمقراطية الـــصحيحة الطريق السوي الذي يكفل الحرية والكرامة للمواطن الغربي ويحقق الخير العام للأمة العربية.

ـــــ تقدمية تجدديه تأخذ بكل وسيلة مجدية لإعلان شأن العرب ورفع مـــستواهم الاجتمـــاعي والثقافي والاقتصادي ولكنها لا تريد أن تنسى ماضيها وما شاده الأجداد من حضارات باهرة تملا النفوس عزا وفخرا [٢٤].

"أهداف الفكرة القومية العربية"

تستهدف قيام كيان عربي قومي عام يضم مختلف الأقطار العربية يكون موحد الشعور والثقافة والأهداف والمصالح والجهاز السياسي والاقتصادي والعسكري ، ويكون من القوة ما يضمن للأمة العربية الحرية والكرامة والسيادة والوصول إلى مصاف الأمم الراقية المتقدمـــة الحية ، وتبؤ المركز اللائق بخصائصها وما تشغله من حيز جغرافي عظيم في ساحته وموقعه وثرواته ومركزه الممتاز، وما لها من نفوذ معنوي قوي في مختلف أنحاء الأرض مـــع قيـــام مجتمع فاضل متكامل متعاون يتحقق فيه العدل الاقتصادي والاجتماعي وتكافؤ الفرص للجميع من يعيش فيه [٢٥].

"الفكر القومي عند ساطع ألحصري"

عرف ألحصري القومية على إنها فكرة أوربية ظهرت في أوائل القرن التاسع عـــشر وانتشرت بين الأمم الأوربية [٢٦].

وتعني الأمة بالنسبة له:-

"وجوب تأسيس الدول على أساس القوميات، لان كل امة من الأمم تكـــون عـــضوية اجتماعية طبيعية ذات كيان معنوي خاص فيحق لها أن تـــستقل فـــي إدارة شـــؤونها دون أن تخضع لمشيئة امة أخرى ، وان تؤسس دولة خاصة بها مستقلة ومنفصلة عن غيرها [٢٧].

وأقر ألحصري إن القومية منذ ذلك الحين قد أصبحت القوة المحركة للتاريخ وقد انتشرت لتشمل معظم أرجاء العالم وأطلقت سلسلة من الأحداث والتطورات السياسية ، على انه يفيد إن القومية لم تكن مجرد فكرة، بل غرست جذورها في الواقع [٢٨].

إن عقيدة ألحصري في القومية تقوم على مفهوم الأمة لا يبيح إرجاعها إلى أي من وحداتها المقومة الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسة، إن الأمة ينظر إليها كوحدة عضوية واحدة ، ككتلة خرسانية تمسكها روابط اللغة المعززة بالتاريخ [٢٩].

والفرد العربي في فكر ألحصري هو فرد قوي وناجح وكل ما يحتاجه هو أن يكتسب إحساسا بالجماعة والتزاما بالواجب الوطني بحيث يكون متعاونا ومطيعا ومضحيا، وتجنب البحث في الطبيعة السياسية للدولة العربية في المستقبل ودعا بوضوح إلى سيادة الكيان الجماعي للأمة عن الفرد [٣٠].

ويرى الحصري أن هنالك عوامل أسهمت في إنضاج الفكر العربي:-

ـــ الأوضاع الداخلية في الدولة العثمانية المتمثلة باستئثار الاتحاديين بالسلطة وعمدهم علانية عن تنفيذ مبادئهم الطورانية في تتريك العناصر غير التركية واضطهادها [٣١].

ـــ عدم تمسك الاتحاديين بتنفيذ القرارات والوعود التي قطعوها على أنفسهم بعد المؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣ [٣٢].

ـــ تفجير الثورة العربية ١٩١٦ بقيادة الشريف حسين وما أشاعه الحلفاء من وعود في إعطاء الولايات العربية حق الاستقلال وتأسيس دولة عربية تتمتع بكامل السيادة والحرية [٣٣].

ـــ تسارع الأحداث التي صاحبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) ووقوف الولايات العربية إلى جانب الحلفاء [٣٤].

"القومية العربية في فكر ساطع ألحصري"

عاش ساطع ألحصري من اجل قضية الوحدة العربية، سخر قلمه دفاعا عنها ونذر نفسه من اجلها وخصص كل مجال نشاطه وأعماله وأبحاثه من اجل هذه القضية الكبرى "إني من الذين يؤمنون بالوحدة العربية إيمانا عميقا ومن الذين يقولون بوجوب العمل من اجلها عملا متواصلا دون توان أو تخاذل" [٣٥].

تعد الدراسة التي قام بها ساطع ألحصري عن القومية واحدة من أوسع وأعمق الأبحاث التي قام بها الباحثين الذين تعرضوا بالدراسة للحركات القومية التي درس مبادئها وأشربت نفسه بواعثها وآمن بها ، وعليه فأنه كان يؤمن كل الإيمان بالقومية العربية ويعدها من لوازمه وضرورة أن يتوسع أبناء الأمة في دراسة الفكر القومي حتى يتحقق هذا الإيمان ويرسخ ولا تعصف به العواصف وانتكاسات فتقتلعه [٣٦].

فتأثر ألحصري بهذا الفكر من خلال دراسته أصول نشأة القومية عامة الألمانية ثم الايطالية والقومية العربية خاصة، ومن اطلاعه على ما يكتب في حقل القومية عند اشتغاله في البلقان ورؤيته الشعوب البلقانية كيف كانوا يعملون لاستقلال شعوبهم من اجل قوميتهم [٣٧].كل ذلك جعل ألحصري أن يؤمن برسالته من اجل أمنية عزيزة غالية على كل عربي أمن بأمته وبشعبه وببني قومه [٣٨].

من مهام ساطع ألحصري الأساسية هي الإيمان بوحدة الأمة العربية، وعمل موجها في تطهير النفوس من رواسب النزعات المعاكسة، فالقومية قد تكون كامنة وتحتاج إلى إيقاظ الوعي وتحريك الحس الوطني وترسيخ إيمان الشعب بمستقبل أمته للحصول على مجد جديد للأمة العربية، لا يقل شأنا عن المجد الذي كانت نالته في سالف العصور [٣٩].

ولتحقيق أهداف القومية العربية وتحريكها تتجسد هذه اليقظة بالنسبة للعرب في الدعوة للاستقلال والحرية،وسعى الشعب العربي في تكوين امة واحدة كما كانت في كل العصور التاريخية السابقة، لذا فأن (ألحصري) كان يؤمن إن النزعات الإقليمية ليست سوى موجات أو مراحل وقتية سرعان ما تتجاوزها القومية العربية وتتغلب عليها وسينتهي الصراع بين القومية وبين الإقليمية، بانتصار القومية والوحدة العربية [٤٠].

"القومية والإسلام"

ظهرت بوادر الوعي العربي قبل الإسلام تمثل البعض منها بالنقاط الآتية:-

ـــ تكوين لهجة أدبية موحدة بدل اللهجات المتعددة ، وكانت هذه هي لغة الشعر التي أصبحت فيما بعد لغة القران الكريم، واستقرت لتصبح اللغة القومية للعرب.

ـــ دور دولة كندة العربية التي قامت بمحاولة توحيد معظم القبائل العربية في الجزيرة العربية تحت نفوذها وهي خطوة في الاتجاه الوحدوي للعرب .

ـــ قيام العديد من التحالف فيما بينها لغرض الوقوف ضد الأخطار والقوى الخارجية المعادية فقد اجتمع العرب مع (سيف بن ذي يزن) أمير اليمن لطرد الأحباش منها كما واتحدوا جميعا ضد خطر الفرس وهزموهم لأول مرة على إطراف العراق في موقعه ذي قار الشهيرة .

ـــ نشاط حركة التجارة والأسواق داخل الجزيرة العربية والتي تدل على الاتجاه نحو الوحدة إن هذا الوعي الذي ظهر في مختلف مرافق الحياة داخل الجزيرة العربية يعتبر مرحلة تمهيدية للانتقال بالجميع العربي إلى مرحلة جديدة هي الإسلام [٤١].

كان للرسول العربي محمد (صل الله علية وسلم)الدور الأول في نشوء القومية العربية الخالية من التعصب العرقي والقائمة على (التعرب) ((أيها الناس الرب واحد ،الولاء واحد ،وان الدين واحد وليست العربية بأحد من أب ولا أم ،وإنما هي اللسان ، فمن

تكلم العربية فهو عربي)) هذه الدعوة موجهة للعرب الفاتحين لتقبل المسلمين "المستعربين" باللغة والولاء والانتماء وهي دعوة أيضا للناس كي يدخلوا تحت راية الإسلام إلى العروبة ،وان الحاجز الوحيد الذي عليهم أن يتخطوه هو حاجز اللغة ومن ثم الولاء للأمة العربية الإسلامية ،وبهذا أدت عروبة القران ودور الرسول العربي في الدعوة إلى التعرب في سبيل فهم أحكام الإسلام وإدراك غاياته ،أديا إلى وجود ارتباط لا ينفصل بين العروبة والإسلام، ليس على صعيد العرب فحسب بل وعند المسلمين غير العرب كذلك [٤٢].

فكان قسم كبير من العرب والمسلمين لا يرى فرقا واضحا بين الخلافة الإسلامية والقومية العربية وهذا ناتج عن عملية دمج تاريخية استمرت ألف وأربعمائة سنة ويزيد حمل فيها العرب لواء الإسلام ونشروا مبادئه بين الأمم ، فأصبح إذا ما أشير إلى الإسلام أشير إلى العرب والعكس هو الصحيح [٤٣].

وهناك صلات عميقة ما بين الإسلام والقومية العربية والالتقاءات الشاملة والتي ما يعجز أن وجدت بين أي دين وقومية أخرى من انسجام وتطابق بينهما[٤٤].

"منزلة العرب في الإسلام"

إن العرب بمثابة العمود الفقري للإسلام فهم المخاطبون الأولون بآيات التنزيل ومنهم كان المهاجرون والأنصار وبسيوفهم فتحت الأمصار والأقطار وإنهم على العموم كانوا على حد ما قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في بعض وصاياه:- "لا تضربوا العرب فتذلوهم فإنهم مادة الإسلام" [٤٥]

وهناك صور للتوافق والتقارب بين القومية والإسلام وتتمثل بـ:-

ـ اللغة العربية :-

فهي أولى مقومات عقيدتنا القومية وهي بالنسبة لامتنا العربية بمثابة الروح إنها مظهر حياتي، والأمة التي تفقد لغتها يكتب عليها الانقراض والزوال ومن حسن حظ العرب إن لغتهم هي لغة الإسلام وان العناية بها ليست واجبا فحسب بل فرضا دينيا [٤٦].

ـ التاريخ:-

إن للعرب تاريخا مجيدا قبل الإسلام وتاريخهم أكثر نصوعا وأعظم شأنا بعد الإسلام والعربي المسلم حينما يعتز بأبطاله تمتزج في نفسه عاطفتا المسلم الورع والقومي الغيور وليس هناك ما يمنع المسلم الصادق الإيمان والعربي المخلص من الاعتزاز بالصفحات الناصعة من تاريخ العرب الذي سبق الإسلام ، ألم يذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) حلف الفضول وهو الحلف الذي تعاهدت فيه بطون قريش قبل الإسلام عن نصرة المظلوم حتى يؤدي إليه حقه ، والتاريخ بوصفه خازنا لتجارب الأمة جميعها ، ضروري لبناء الحاضر ووضع خطط المستقبل على أسس الماضي، وان استمرار الاتصال بين الماضي والحاضر يعد مصدر قوة [٤٧].

ـ الأدب العربي :-

الشعر العربي قبل الإسلام وخاصة ما كان منه متعلقا بالوصف والحكم فليس في أكثره ما يعارض روح الإسلام ، والأدب العربي هو ثمرة الشعور والعاطفة العربية في مختلف عصورها ، فالقران الكريم بالإضافة إلى كونه كتاب هداية، يعد أروع أنموذج للأدب الرفيع الذي يعتز به العربي مهما يكن دينه ، والشعر العربي قبل الإسلام وخاصة ما كان منه متعلقا بالوصف والحكم ، فليس في أكثره ما يعارض روح الإسلام [٤٨].

ـــــ العادات والسجايا العربية الصالحة :-

إن التقارب كلي بين الخلق الفاضل كما تصوره القومية العربية وكما يريده الإســـلام إننا لا ندعي بان جميع الأخلاق العربية قبل الإسلام ، كانت صالحة ولكننا نقول بان الإســـلام قد اقر أسمى صفات الخلق العربي ونحن في دعوتنا القومية للاعتزاز بالأخلاق العربية إنمـــا نريد تلك الأخلاق الصالحة المهذبة التي ترفع من شأن الإنسان ، وان الرسول محمد (صـــلى الله عليه وسلم) قال :-" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وهذا يعني إن العرب كانت سجاياتهم خلقية عالية [٤٩].

"الإسلام وعملية التطور القومي العربي"

مثل الإسلام عنصرا مهما في عملية التطور القومي العربي فأنه وحد العرب سياســـيا وحل محل عصبيتهم القبلية السابقة ،وتحت رايات الإسلام تسارعت العملية التاريخيـــة فـــي تعريب الهلال الخصيب ووادي النيل وشمال أفريقيا ، وقدم الإسلام للعـــرب مبـــررا فكريـــا للتوسع وتكوين إمبراطورية وحضارة متطورة وبالتالي إحساسا فخورا بالتاريخ، وخلال الفترة المظلمة التي حلت بالعرب، لعبت اللغة العربية التي وحدها القران الكريم، دورا بـــارزا فـــي الكيان القومي العربي وباختصار فان الإسلام عزز التطور القومي العربي وحـــافظ عليـــه ، وهكذا أصبح الإسلام كثقافة تستند إلى اللغة والتاريخ جزءا عضويا وأساســـيا فـــي التكـــوين القومي العربي [٥٠].

وتأسيسا على ما تقدم ليس هناك تعارض أساسي أو تـــضاد واضـــح بـــين العروبـــة والإسلام ، ويمكن أن توصف العلاقة بينهما إنها علاقة عموم وخصوص وإذا أردنا أن نصور تلك العلاقة تصويرا هندسيا أمكننا تصور الإسلام والعروبة دائرتين متـــداخلتين فـــي القـــسم الأشمل والاهم منهما ، وما يبقى خارج الدائرة المشتركة من كل منهما لا يتعارض تعارضـــا أساسيا مع القسم الآخر [٥١].

"خصائص الحركة القومية ونظرة الإسلام إليها"

إن الحركة القومية هي حركة (ديمقراطية) (اشتراكية) (شعبية) (تضامنية) والإسلام وان لم يفصل نظام الحكم إلا انه اوجب الشورى ، وهو من دون شك يقر النظام الديمقراطي الصحيح كل الاقرار، وتشريعاته المالية وقواعده الفقهية هي في طابعها الأساسي اشتراكية وللتدليل على الروح الثقافية في الإسلام وشعبيته أن تتذكر طرفا من سيرة رسوله وسيرة خلفائه، فنظام الحكم القومي الذي ندعوا إليه والحالة هذه لا يتعارض في قليل ولا كثير من روح الإسلام [٥٢].

المبحث الثالث

"المقومات الأساسية للقومية العربية عند ساطع ألحصري"

وجد ساطع ألحصري إن المجتمع العربي لديه من أسباب القوة ما يجعله متماسكا ومتجانسا بحكم ما لديه من المقومات والعناصر الأساسية من أن يكون امة مستقلة بذاتها ، ومن المقومات الأساسية للقومية عند ألحصري:-

ـ وحدة اللغة العربية:-

إن معجزة الإسلام هي (القرآن الكريم) أي الكلمة وذلك في بلاغته وفصاحته وصياغته اللغوية، فهل كانت هناك أية لغة غير العربية قادرة على استيعاب بلاغته وفصاحة القرآن ، ولها القدرة اللغوية على تبليغ مرامي ومعاني الآيات إلى الوجدان الإنساني [٥٣].

إن اللغة العربية قادرة على استيعاب كلمة القرآن، بمراميها الإنسانية الروحية، لأنها قد وصلت في تطورها إلى حدها الأقصى ولعل (المعلقات الشعرية) [٥٤] هي اكبر دليل على تطور اللغة وبلوغها المستوى القادر على حمل معجزات القرآن ، وهذا يعني إن القرآن الكريم قد تكاملة معانيه ومراميه من خلال اللغة العربية إذ إن كل كلمة فيه معروفة ومقرؤة للعرب وما القرآن إلا تجسيدا حيا لبلاغة وفصاحة تطور اللغة العربية ، كما كان للرسول العربي محمد (صلى الله عليه وسلم) دور في تكريس اللغة العربية مركز استقطاب لجميع المسلمين

وإعطاء اللغة العربية دافعا معنويا أمام الشعوب والأمم التي تدين بالإسلام فمن الأحاديث الصحيحة قول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) "من أحب الله ورسوله أحب العرب ولغتهم العربية" [٥٥] وقوله (صلى الله عليه وسلم) "ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان،فمن تكلم العربية فهو عربي" فصار كل فرد في هذا الوطن يجد في لسانه العربي الجديد نسبا يعوضه أصهاره القدامى وقوميته تجعله يقف مع إخوانه صفا واحدا كأنهم بنيان مرصوص[٥٦].

كشفت دراسة للواقع العربي في ماضيه وحاضره عن جوانب وملامح كثيرة في مقومات الحركة العربية وتحتل اللغة العربية الصدارة من بين هذه المقومات [٥٧].

فهي تشكل رابطة أساسية تجمع كل العرب ، وهي عنصر رئيسي في تحديد الهوية العربية وهي الرابطة الإسلامية للأمة ، ودور اللغة العربية في صنع الكيان القومي للأمة العربية وفي تكوين الوجدان والفكر العربيين واضح المعالم[٥٨].

إن اللغة تكون روح الأمة وحياتها وتمثل أهم مقوم من مقومات القوم والقومية [٥٩] فهي ميراث الأجيال وهبة الحوادث التاريخية بوجه عام [٦٠].

وتعد اللغة العربية الوسيلة التي يعبر بها الشعب العربي عن أفكاره وأحاسيسه وتعد واحدة من أكثر اللغات حيوية في دقة تنظيمها وفي مرونتها التي جعلتها أداة صالحة لنقل شتى العلوم ، وهي واسطة للتفاهم ونقل الأفكار والمكتسبات من التراث الحضاري والثقافي، إنها من أقوى الروابط التي تربط بين أفراد الأمة الواحدة ويفسر هذا القول ما سلكه الاستعمار الحديث تجاه الشعوب المستضعفة في محاولة للقضاء على لغتها وثقافتها وهذا ما حدث في

الجزائر عندما حاول الاستعمار الفرنسي (فرنسه) الشعب العربي في هذا القطر بحرمانه من استعمال لغته العربية وتراثه الحضاري والثقافي العربي [٦١].

هذا فضلا عن محاولة العثمانيون استخدام اللغة التركية كلغة رسمية في الحكومة والتدريس وفي الدوائر والدواوين ، وهي محاولة تتريك الشعب العربي [٦٢].

واللغة العربية اليوم هي نفس اللغة العربية منذ ألف وخمسمائة سنة على الأقل (باعتبار إن اللغة القرآنية هي التي كانت سائدة ومفهومة في جميع أوساط العرب بوجه عام قبل نزول القران الكريم بمدة) في مميزاتها وقواعدها وأساليبها ومفرداتها وأدبها وشعرها وأمثالها بقطع النظر عن اختلاف اللهجات العامية المحلية التي تتوارى في الكتابة والقراءة والثقافة والتعليم [٦٣].

إن اللغة العربية لها الدور الأكبر في الانسجام والتفاهم والتلاقي على الصعيد الفكري بين أبناء الأمة الواحدة وتقوم بمثابة طابع قومي يشد من روابط الاتحاد والألفة بين جميع أفرادها فيشعر هؤلاء وكأنهم أسرة واحدة ، إذ إن أفرادا يتكلمون لغات مختلفة لا يمكنهم أن يستخلصوا المعاني نفسها من التعابير ذاتها ، كما إن مقاييسهم في الآداب والأخلاق والثقافة والحق والعدالة لا تكون واحدة ، واللغة العربية تحمل عادات الأمة وتقاليدها ومثلها وصفاتها ومقاييسها وتراثها الكبير ، وهي التجسيد الحي لـ "الفكر العربي" بطموحه وآماله وإملاحه بالأمة وقهره واضطهاده، تجسيدا حيا للفكر العربي، إن اللغة العربية هي روح الأمة وحياتها وإنها بمثابة محور القومية وعمودها الفقري وهي من أهم مقوماتها وشخصياتها [٦٤].

ويشير (ساطع ألحصري) في كتاباته إلى أهمية اللغة العربية في حياة الأمم فيقول:-

اللغة تكون روح الأمة وحياتها [٦٥]، اللغة هي بمنزلة القلب والروح من الأمة ، لذلك فأن الشعوب التي تتكلم لغة واحدة تكون ذات قلب واحد وروح مشتركة ولذلك تكون امة واحدة ، فيجب أن تكون دولة واحدة ، ويضيف إلى إن اللغة صهرت عقول العرب في قالب واحد، وركزت طبائعهم وجعلت منهم أخلاقيا وروحيا امة واحدة [٦٦].

لقد انطلق (ألحصري) في تقديمه لوحدة اللغة على سائر عوامل الرابطة القومية ، من إن الثقافة القائمة على اللغة ، تولد تشابه التكوين النفسي الذي يراه أساس الأمة وكان يربط أهمية إصلاح (اللغة) بمهمة التعمق في معرفة الفصحى في مدارس البلدان العربية وفي إطار هذا التوجه ، الذي يؤكد على ضرورة التمكن من اللغة الأم كشرط أساسي للتنشئة القومية [٦٧].

كان (ساطع ألحصري) يقول كل الشعوب العربية التي تتكلم العربية هي عربية وكل فرد ينسب إلى هذه الشعوب فهو عربي ، واخذ ينادي بالإصلاح الثقافي وتنقية المناهج وزيادة دروس اللغة العربية وحذف اللغة الأجنبية من الدراسة الابتدائية كل ذلك من اجل غرس الفكرة القومية وتربية الناشئة على حب الوطن وحب المفاخر العربية [٦٨].

عد (ألحصري) اللغة هي أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد بمحيطه الاجتماعي لأنها أولا واسطة التفاهم بين الأفراد، ثم هي فضلا عن ذلك آلة التفكير[٦٩].

إن اللغة هي واسطة لنقل الأفكار والمكتسبات من الآباء إلى الأبناء ومن الأجداد إلى الأحفاد ومن الأسلاف إلى الأحلاف لذلك نجد إن وحدة اللغة توجد نوعا من الوحدة في التفكير وفي الشعور، وبما إن اللغات تختلف بين قوم وقوم فمن الطبيعي أن نجد مجموع الأفراد الذين

يشتركون في اللغة ويتقاربون أكثر من غيرهم ويتماثلون ويتعاطفون أكثر من سواهم فيؤلفون بذلك امة متميزة عن الأمم الأخرى [٧٠].

وأكد(ساطع ألحصري) إن اللغة هي روح الأمة وحياتها وهي بمثابة محور القومية وعمودها الفقري وهي من أهم مقوماتها الشخصية [٧١].

وهي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع ووحدة الآمال والآلام ووحدة الثقافة وبذلك تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء امة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى [٧٢].

ويرى (ساطع ألحصري) إن الأمم تتميز بعضها عن البعض على أساس اللغة [٧٣].

لذا فان جميع البلاد التي يتكلم سكانها باللغة العربية ، هي عربية مهما تعددت الدول التي تحكمها ومهما تنوعت الأعلام التي ترفرف على بناياتها الحكومية ومهما تعرجت وتشابكت الحدود التي تفصل بين أقسامها السياسية والنشيد الحماسي المعروف:-

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان

ومن نجد إلى يمن إلى مصر فتطوان

يعبر عن شمول بلاد العرب تعبيرا فنيا رائعا ، والعروبة ليست خاصة بأبناء الجزيرة العربية ولا مختصة بالمسلمين وحدهم بل إنها تشمل كل من ينتسب إلى البلاد العربية ويتكلم باللغة العربية [٧٤].

ولأهميتها يجب ترقيتها والوصول بها إلى تأدية جميع أغراض التفكير والعلم الحديث وجعلها لغة الدراسة في جميع المواد في كل مراحل التعليم في البلاد العربية [٧٥].

"وحدة التـــــأريخ "

ـــــ الحج إلى الكعبة (قبل الإسلام) كان عاما شاملا لجميع العرب على اختلاف منـــازلهم و (الأشهر الحرم) كانت بمثابة هدنة مقدسة تسمح لمن يريد الحج أن يأتي ويعود في ظلها آمنـــا على دمه وماله مهما بعدت منازله في أنحاء الجزيرة وبلاد الشام والعراق وجزيـــرة العـــرب وتذكر روايات السيرة القديمة إن النبي (صلى الله عليه وسلم) وجد في الكعبة وفنائها حينمـــا فتح مكة (٣٦٠)صنما ووجد صورة المسيح وأمه على احد جدران الكعبة مما لا يمكن تفسيره إلا رغبة العرب جميعها في تثبيت مشاركتهم في الكعبة والحج على اختلاف منازلهم ونحلهم [٧٦].

ـــــ ثأر حاكم اليمن (ذا يزن) على حكم الأحباش والذهاب إلى فارس فاستعان بملكها فأمـــده بقوة تتمكن من إسقاط حكم الأحباش وإعلان سلطانه على اليمن ، وان ذلك أثار فـــرح أهـــل الجزيرة، فذهب وفد مكي بزعامة عبد المطلب بن هاشم جد الرسول (صلى الله عليه وســـلم) إلى اليمن ليهنئ أهلها بعودة السيادة العربية ويشاركهم في فرحتهم [٧٧].

ـــــ الرسالة الإسلامية التي هي رسالة إنسانية عامة وعد الله تعالى أن يظهرها على الدين كله لأنه فيها هدى الإنسانية وسعادتها ونجاتها في الدنيا والآخرة ، وجه الله نبيه إلى توحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام وسلطانة وان يوجه خلفائه من بعده إلى تحريـــر ســـائر المـــواطن العربية خارج الجزيرة من السلطان الأجنبي لتدخل تحت راية السلطان العربـــي الإســـلامي وليمتد هذا السلطان بعد ذلك إلى ما وراء هذا المواطن [٧٨].

ـــــ برز طابع قومي عربي مميز للدولة الأموية تجلى في:-

ـــــ تعريب الدواوين والعملة والطراز وحصر المناصب الرئيسية في العرب إذ صار رجالهم يملكون زمام الحكم والسلطان والإدارة والقيادة والقضاء دون غيرهم من المسلمين على اعتبار إن العرب هم الذين حملوا رسالة الإسلام ومشعل الهداية للناس والقيمون على ذلك [٧٩].

ـــــ المغالاة في النسب العربي:-

كان بعض قضاتهم وحكامهم ينقضون أية رابطة زواج تتم بين عربية وغير عربي وقد حرموا الملك عمن كانت أمه غير عربية في أبان قوتهم وعظمتهم برغم انه كان ذا صفات شخصية قوية مما احتوت بطون التاريخ أمثالا كثيرة من مظاهره، وقد سموا ما عداهم من المسلمين باسم الموالي ويعني ذلك مرتبة أدنى من مرتبتهم وكانوا يأنفون من تزويج بناتهم لغيرهم من المسلمين (٨٠).

ـــــ بعد سقوط الدولة الأموية ١٣٢ هـ، قامت الدولة العباسية والتي لم يمر وقت طويل عليها حتى قوي فيها نفوذ الفرس وغيرهم من العناصر غير العربية فأخذت الروح القومية تخفت ثم استمر خفوتها وازداد بعد سقوط الدولة العباسية في أواسط القرن السابع الهجري التي كان يتمثل فيها السلطان العربي ولو أسميا (٨١).

ولأجل فهم عامل التاريخ ودوره في المجتمع نأتي على التعريف الجامع والعلمي للتاريخ للعلامة العربي (عبد الرحمن ابن خلدون) إذ قال في (مقدمته) أو (كتاب المقدمة):-

"حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل ، التوحش والتأنس والعصبيات وأضاف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال" (٨٢).

والتاريخ يعد احد العنصرين المقومين للقومية العربية، وقد لا يكون التاريخ بمثل هذه الأهمية لدى بعض الأمم وهذا لا يضر القومية العربية في شئ ولا يلزمها بشيء (٨٣).

إن التاريخ هو أحداث وتجارب ، انتصارات وهزائم ودروس وعبر، فأنه يصبح بمثابة شعور الأمة وذاكرتها، فان كل امة من الأمم إنما تشعر بذاتها وتكون شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص (٨٤).

إن تناسي التاريخ وإهماله، يضعف الروابط القومية عند أبناء الأمة ، إذ إن التاريخ يقوم كشعور للأمة، وإهماله ليس إلا سباتا وذهولا ، والأمة إذا ابتعدت عن ماضيها وتكاثفت حجب النسيان بينها وبين تاريخها ، تهبط حرارتها القومية، ولذا فإننا نرى أمم الاستعمار تعمد إلى محاولات وتجارب تهدف من ورائها أن تقتضي على التاريخ القومي في الجماعة المحكومة، ويرى البعض إن المقياس الوحيد لمعرفة القومية الحقيقية الأصلية من غيرها ، فتاريخ الأمة يحمل بين طياته (الأسس الشرعية) لقوميتها، بمعنى إن امتداد جذور الأمة ، المادية والمعنوية، عبر الزمان هو دليل أصالتها وتطورها (٨٥).

فالتاريخ إذآ هو الصورة الفكرية التي تقدم فيها المدنية الحساب لنفسها عن ماضيها ، ويعد الذاكرة الحية للأمة وان وحدة التاريخ تولد تقاربا في النزعات، كما إنها تؤدي إلى تماثل في ذكريات المفاخرة السالفة والى تشابه في أماني النهوض وآمال المستقبل (٨٦).

إن للعرب جميعهم في مختلف العصور تاريخ واحد ارتبطوا فيه بوحدة الآلام والآمال وجمعهم في ظل خط نضالي واحد نحو مصير مشترك، وإنهم على مر العصور لم يفقدوا الإحساس بقوميتهم العربية ، إن صراع العرب مراحل تاريخهم لتحقيق وحدتهم السياسية وكفالة المنعة الوحدة إنما تمثل مفتاح هذا التاريخ كله (٨٧).

ويعد التاريخ عامل فعال في إيقاظ الشعور القومي وهو بمثابة الذاكرة للإنسان العربي فهو حين يستعرض تاريخ أجداده وما سطروه من أمجاد رائعة تهزه هذه الذكريات وتفجر في

أعماقه شعورا قوميا يجعله يتألم لواقعه ويتحمس لإعادة مكانة أمته في مقدمة الركب الإنساني وهكذا يخلق التاريخ من الفرد العربي إنسانا قوميا (٨٨).

ويمثل التاريخ سيرة قواد الأمة وزعمائه وبطولات رجالها أن تولد نوعا من شعور الارتباط والوعي القومي ، فهو ضروري لبناء الحاضر ووضع خطط للمستقبل على أسس الماضي ولا شك إن الاتصال بين الماضي والحاضر، يعد مصدر قوة ولهذا نجد إن الاستعمار الحديث يعمل أولا وقبل كل شئ على القضاء وعلى لغة الأمة المحكومة وتاريخها وإقصائه عن أذهان أبنائها أو تشويه هذا التاريخ لأجل تجريده من قوة الجذب والتأثير (٨٩).

وتطابقا مع الرأي (الحصري) فقد عد الكثير من المفكرين القوميين والكتاب (التاريخ)احد الأسس التي قامت عليها الفكرة القومية الحديثة (٩٠).

والعامل الثاني من عوامل القومية العربية الذي يلي (اللغة) في أهميته (٩١).

ويرى (ساطع ألحصري) إن العناصر الرئيسية للفكر العربي في اتجاهها الحديث تضم وحدة تاريخهم الذي يقوم على تقاليدهم وقيمهم وأمانيهم ووحدة لسانهم التي تعتبر عن وحدة فكرهم عبر الزمن الطويل (٩٢).

وحدد (الحصري) أهم الأسس في تكوين الأمة وبناء القومية وهي وحدة اللغة ووحدة التاريخ لأنه الوحدة في هذين الميدانيين هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع ووحدة الآمال والآلام ووحدة الثقافة وبكل ذلك تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى (٩٣).

وذكر(الحصري) إن أبناء الأمة الواحدة يعتبرون بعضهم بعضا أقارب وأشقاء كأنهم منحدرون من أصل واحد ،كما أنهم يسمّون أسلافهم باسم الأجداد بوجه عام ولكن هذه القرابة

التي يشعر بها ويتكلم بها أبناء الأمة الواحدة هي قرابة معنوية ،تنشأ من الروابط الاجتماعية المختلفة ولا سيما من الاشتراك في اللغة والتاريخ [٩٤].

أوضح (ساطع الحصري) أسباب ضعف الإيمان القومي بوجه عام ،وعن ضعفه في بلادنا العربية بوجه خاص تعود إلى سؤ نظرنا إلى تاريخ الأمة العربية من جهة ، وعدم توسعنا في درس تواريخ نهضات الأمم المختلفة من جهة أخرى[٩٥].

وان تاريخ كل أمة من الأمم يتألف عادة من أدوار ارتقاء وانحطاط ، ويعرض للأنظار تارة صحائف سوداء وطوراً صحائف بيضاء ،تارة عهود أمجاد وطوراً عهود نكبات وعندما سيتعرض المرء تلك الأدوار وتلك الصحائف ،قد يبقى تحت تأثير المجيدة منها فيزداد أيمانا بإمكانيات أمته ،وقد يبقى تحت تأثير السوداء منها فيصبح بائسا من مستقبلها ،ينظر إلى التاريخ العربي بالمناظر السوداء يستخرج منه أحكاما تثبط العزائم وتؤدي إلى اليأس والقنوط [٩٦].

ووصف (الحصري) الأمم التي تنسى تاريخها تكون فقدت ذاكرتها وشعورها وتصبح في حالة سبات [٩٧].

ودعا (ألحصري) إلى أن تتخذ دروس التاريخ محورا للتربية القومية ، خاصة تاريخ الأمة العربية لان أمهات الكتب الموضوعة فيه مكتوبة بوجه عام بنزعة ذاتية تبتعد عن الحقيقة المحضة ،فما كتب منها باللغة العربية تأثر بالنزعة الدينية أكثر من تأثره بالنزعة القومية أو مستوحى من الكتابات الغربية ،وأما ما كتب منها باللغات الأوربية فبعيد أيضا عن الحياد التام ،بسبب نظر الأوربيين الخاص إلى الشرقيين بوجه عام والعرب بوجه خاص نتيجة النضال العنيف الذي استمر قرونا طويلة بين الشرق والغرب جعل الغربيين يتباعدون عن

الحياد في الأمور المتعلقة بالشرق والعرب بوجه عام ويتعصبون على العرب تعصبا صريحا في كثير من الأحيان [٩٨].

ووجه (ألحصري) بأن دروس التاريخ يحب إن ترمي إلى التربية القومية ، والسعي لا إزالة اثأر الدعايات السابقة أولا ،وتجديد وتقوية نزعة الوحدة وأمل النجاح ثانيا [٩٩].

وشبه (ألحصري) الأمة التي تحافظ على لغتها وتنسى تاريخها شأنها شأن فرد فاقد الشعور أو فرد في حالة إغماء ،إن إهمال التاريخ هو بمثابة الاستسلام إلى الذهول واهم ما يجب أن نستلهمه من التاريخ هو الإيمان بحيوية الأمة العربية وبإمكان حصولها على مجد جديد ،لا يقل شأنا عن المجد الذي نالته على مر العصور ،ثم هو يبث روح الأمل في نفوس الشباب العربي [١٠٠].

صور (ساطع الحصري) التاريخ القومي بمثابة وعي الأمة وشعورها ووحدة الآمال والألأم ووحدة الثقافة [١٠١] ينيط بنشر المعارف التاريخية دورا بالغة الأهمية في التربية الوطنية والقومية للجيل الناشئ وفي تدعيم المسيرة الوحدوية وتوطيدها [١٠٢].

لقد كان (الحصري) يؤكد دوما إن أمجاد الماضي من أهم عوامل الأمل ودوافع الإيمان بالمستقبل ،ليطرح ضرورة كتابة التاريخ العربي على نمط جديد في صنوعة النزعة القومية [١٠٣].

ونتيجة لإيمانه بأنه التاريخ هو أحد عوامل التوحيد والقاعدة المتينة التي ينطلق منها دعاة الوحدة ،وطالب بزيادة دروس التاريخ من اجل غرس الفكرة القومية وتربيته الناشئة على حب الوطن وحب المفاخر العربية ،وكان يطرح بأن الحدود المصطنعة الحاضرة بين الدول العربية هي من صنع الاستعمار ومن حرص الحكام الأنانيين وحبهم للنفوذ وأنها حدود

مصطنعة كانت قبل أن يغزونا المستعمرون مفتوحة لكل عربي يستوطنها متى شاء ويرحل عنها شاء أنها حدود حرص على بقائها الحكام وأنها لا تخدم الأمة العربية [١٠٤]

وان التجربة التاريخية المشتركة للعرب قد خلقت نوعا من التماسك المعنوي فيهم على انه يقرر هذه التجربة ليست متوافقة ولا متسقة ولذلك تتطلب توجها انتقائيا للتاريخ العربي حتى يكيف للواقع العربي ،فعندما نقول وحدة التاريخ يجب إلا أن نفهم من ذلك الوحدة التامة في جميع أدوار التاريخ بل يجب أن أنفسهم من ذلك الوحدة النسبية التي تتجلى في أهم صفحات التاريخ والتي أوجدت ثقافة الأمة الأساسية ،وإلا لما استطعنا أن نجد أمة واحدة كانت موحدة على طول تاريخها توحيدا تاما [١٠٥].

وبهذا الصدد أيضا قال (ساطع ألحصري) إن إهمال التاريخ القومي يكون بمثابة الاستسلام إلى الذهول ، وأما نسيان التاريخ المذكور فيكون بمثابة فقدان الشعور ، هذه الحقيقة يعرفها جيدا رجال الحكم والاستعمار على الدوام ، فهم عندما يستولون على امة من الأمم يبذلون قصارى جهدهم لإبعاد ذاكرتهم عن تاريخها الخاص إنهم يتوسلون بكل الوسائل سالممكنة لتخدير الأمة عن طريق الحيلولة بينها وبين تاريخها القومي ، لأنهم يعرفون جيدا إن الشعور القومي عند الأمم المحكومة يأخذ في الخمول والتضاؤل كلما أسدل النسيان سدوله على التاريخ القومي إلى أن ينعدم تماما بنسيان التاريخ الخاص نسيانا تاما [١٠٦].

ودعا إلى ضرورة تذكر الماضي واستلهام التاريخ استعرضوا تواريخ استقلال الأمم التي كانت مغلوبة على أمرها ثم نهضت وتخلصت من ربقة الاستعباد، تفهموا جيدا إن حب الاستقلال يتغذى بذكريات الاستقلال المفقود، والتطلع إلى السؤدد والمجد السالف كما إن الإيمان بمستقبل الأمة يستمد قوة من الاعتقاد بماضيها الباهر والنزوع إلى الاتحاد يزداد شدة وحماسة بتجدد ذكريات الوحدة الماضية ، والاستفادة من التاريخ تظهر للعيان حتى في أعمال الأمم التي تقوم بثورات عنيفة وتحاول قلب حياتها الاجتماعية رأسا على عقب بصورة جذرية وفورية ، إن تلك الأمم تثور في حقيقة الأمر على الماضي القريب وحده وتحاول خلال ثورتها هذه أن تستمد قوة من الماضي البعيد [١٠٧].

المصادر والمراجع

(١) عبد الله سلوم السامرائي، الإسلام والقومية الإسلام والأممية ، بغداد، ١٩٨٥،ص١٨٠.

(٢) ساطع الحصري، حول القومية العربية ،بيروت، ١٩٦١،ص٨٦ ،ساطع الحصري، الأقلية جذورها وبدورها، بيروت، ١٩٦٤، ص١٩٦، ساطع الحصري، العروبة أولا، بيروت، ١٩٥٨، ص٥.

(٣) عبد الله عبد الدايم، القومية والإنسانية، بيروت، ١٩٥٩، ص٣٣.

(٤) حازم زكي نسيبة، القومية العربية ، فكرتها – نشأ تها – تطورها ، ط٢، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص٢١.

(٥) توفيق سلطان اليوزبكي، دراسات في الوطن العربي الحكات الثورية و السياسية ، الموصل ، ١٩٧٥ ، ص٥٣-٥٦.

(٦) آرنولدفان جنيد ، هذه هي القومية، بيروت، ١٩٥٩، ص٢٢.

(٧) عبد الرحمن البزاز، من وحي العروبة، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٢٤-١٢٥.

(٨) حازم مجيد احمد الدوري، دور النخبة العسكرية العراقية في تطور الفكر القومي العربي من ١٩٠٨ – ١٩٤١ ، أطروحة دكتوراء ، غير منشورة مقدمة الى معهد التاريخ العربي للدراسات العليا ، بغداد ، ٢٠٠٣ ، ص٦٧.

(٩) ساطع ألحصري، محاضرات في نشوء القومية ،القاهرة، ١٩٥١، ص١٦٠.

(١٠) حليم اليازجي ، بحوث في الفكر القومي العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص٧٥.

(١١) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية ، بيروت، ١٩٨٤ ،ص١٠، أسعد الاسطواني، نشوء الفكر القومي في القرن العشرين، مجلة الجيل ،مجلة٢١، عدد٩ أيلول ،٢٠٠٠ ،ص٤٦.

(١٢) وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية في العراق، بيروت، ١٩٨٤، ص٥٨.

(١٣) سامي شوكت، هذه أهدافنا، بغداد، ١٩٣٩، ص٣٠.

(١٤) ساطع ألحصري، يوم ميسلون صفحة في تاريخ العرب الحديث، بيروت،١٩٤٨، ص٢٠٧.

(١٥) وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية في العراق بيروت ١٩٨٤، ص٥٩.

(١٦) عبد الرحمن البزاز، من وحي العروبة، ص١٢٢-١٢٣.

(١٧) عبد الله عبد الدايم، القومية العربية، بيروت، ١٩٦٠، ص١٩.

(١٨)عبد الله الريماوي، القومية والوحدة في الحركة القومية العربية الحديثة، القاهرة،د.ت ، ص٣٦٠.

(١٩) حازم زكي نسيبة، المصدر السابق، ص٦٢.

(٢٠) سليم عبد الرزاق الخطاب، القومية العربية فكرا ، بغداد، ١٩٨٥، ص٤٣٤.

(٢١) توفيق ساطان اليوزبكي واخرون ، المصدر السابق ،ص ٢٧ .

(٢٢) عبد العزيز الدوري ، الجذور التاريخية للقومية العربية ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٦٢ .

(٢٣) حازم زكي نسيبة ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٢٤) عبد الرحمن البزاز ، من وحي العروبة ، ص ١٤١ .
(٢٥) محمد عزه دروزه، نشأة الحركة العربية الحديثة ، ط١ ، بيروت ، ١٩٤٩، ص٨.
(٢٦) ساطع ألحصري ، محاضرات في نشوء القومية ، ص١٦٠.
(٢٧) ساطع ألحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية ،ص١٠.
(٢٨)مروان بحيري، الحياة الفكرية في المشرق العربي (١٨٩٠-١٩٣٩)، بيروت، ١٩٨٣، ص١٧٩.
(٢٩) ساطع ألحصري، حول القومية العربية، ص١٥٥.
(٣٠) مروان بحيري ، الحياة الفكرية في المشرق العربي ، ١٨٩٠ – ١٩٣٩ ، بيروت ، ص١٨٢.
(٣١) أمين سعيد ، تاريخ اليقظة القومية عند العرب ، ص٨-٩.
(٣٢) محمد عزه دروزه ، المصدر السابق ، ص٤٤٣-٤٤٤.
(٣٣) ساطع الحصري، يوم ميسلون صفحة من تاريخ العرب الحديث، ص٦٤.
(٣٤) نهاد صبيح سعد ، الفكر التربوي عند ساطع الحصري ، البصرة ، ١٩٧٩، ص٦٨ .
(٣٥) جمال الدين الالوسي ، ساطع ألحصري رائد القومية العربية، ص١٠٧.
(٣٦) ساطع ألحصري، العروبة أولا ، ص٥.
(٣٧) ساطع ألحصري، حول القومية العربية، ص١٥٩.
(٣٨) جمال الدين الالوسي، ساطع الحصري رائد القومية العربية ، بغداد ، ١٩٨٦، ص١٠٧
(٣٩) ساطع ألحصري، مذكراتي في العراق ١٩٢٧-١٩٤١ ج٢ ، ص٤٨٥.
(٤٠) جمال الدين الالوسي، ساطع ألحصري رائد القومية العربية ،ص٨٦.
(٤١) خاشع المعاضيدي وآخرون، دراسات في المجتمع العربي، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص٢٦.
(٤٢) محمد طارق قائد بيه ، أركان القومية العربية ثوابت في خضم المتغيرات ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص٢٣.
(٤٣) حازم مجيد احمد الدوري، المصدر السابق، ص٧٧.
(٤٤) عبد الرحمن البزاز، هذه قوميتنا ، القاهرة، ١٩٦٣ ، ص٢١٨.
(٤٥) عبد الرحمن البزاز ، من وحي العروبة ، ص٢٧٧.
(٤٦) محمد عزه دروزه، نشأة الحركة العربية الحديثة، ص٤٠-٤٥.
٤٧) حازم زكي نسيبة، القومية العربية فكرتها- نشأتها- تطورها ، ص١١٧.
(٤٨) عبد الرحمن البزاز ، من وحي العروبة ، ص٢٣١.
(٤٩) المصدر نفسه، ص٢٣٢.
(٥٠) وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية في العراق ، ص٦٠.
(٥١) عبد الرحمن البزاز، من وحي العروبة ، ص٢٣٤.
(٥٢) عبد الرحمن البزاز ، من وحي العروبة ،ص٢٣٢؛ حازم زكي نسيبة ، القومية العربية فكرتها نشأتها تطورها ، ص٤٢-٤٣.
(٥٣) محمد عزة دروزه، نشأة الحركة العربية الحديثة، ص٢١.
(٥٤) حازم زكي نسيبة، القومية العربية فكرتها نشأتها تطورها ، ص٣٥.

(٥٥) محمد طارق قائد بيه ، أركان القومية العربية ثوابت في خضم المتغيرات ، ص٢٣.
(٥٦) احمد محمد المختار ، أضواء على حركات التسلل الشعوبي ، العراق-الموصل، ١٩٨٥، ص١٠.
(٥٧) إعداد نخبة من شباب الطليعة العربية، القومية العربية والاستعمار ، بغداد، ١٩٦٠، ص١٣.
(٥٨) هند فتال ورفيق سكر، تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر ، ص٣١.
(٥٩) عبد الله سلوم السامرائي، الإسلام والقومية الإسلام والأممية ، ص١٥٣.
(٦٠) أبو خلدون ساطع ألحصري، مذكراتي في العراق ج٢ ١٩٢٧-١٩٤١ ، ص٤٨٠.
(٦١) توفيق سلطان اليوزبكي وآخرون، دراسات في الوطن العربي الحركات الثورية والسياسية ، ص٢٣-٢٤.
(٦٢) خيرية قاسميه، الحكومة العربية في دمشق (١٩١٨-١٩٢٠)، ص٢٣٣-٢٣٤؛ جميل موسى النجار ، الفكر في العراق في العهد العثماني الأخير، ص٣١٥
(٦٣) محمد عزه دروزه، نشأة الحركة العربية الحديثة ، ص٢١.
(٦٤) محمد طارق قائد بيه، أركان القومية العربية ثوابت في خضم المتغيرات ، ص٢٥-٢٧.
٦٥) ساطع ألحصري، دفاع عن العروبة، ص١٤٥.
(٦٦) هند فتال ورفيق سكر ، تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر، ص٣٢.
(٦٧) تيخونوفا، ساطع الحصري رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي موسكو ، ١٩٨٧ ، ص١٦٥-١٧٣.
(٦٨) جمال الدين الآلوسي ، ساطع ألحصري رائد القومية العربية ،ص٦-٧؛ ساطع ألحصري، العروبة أولا، ص١١.
(٦٩) ساطع ألحصري ، العروبة أولا ،ص١٠٩.
(٧٠) نهاد صبيح سعد ، الفكر التربوي عند ساطع ألحصري ، ص٧٥-٧٦.
(٧١) ساطع ألحصري ، حول القومية العربية ، ص١٥٥.
(٧٢) المصدر نفسه، ص٩٤.
(٧٣) ساطع ألحصري، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية ،القاهرة، ١٩٤٤، ص٢٠.
(٧٤) ساطع ألحصري، العروبة أولا، ص١١-١٤.
(٧٥) ساطع ألحصري،آراء وأحاديث في العلم والأخلاق، ص٦٩.
(٧٦) محمد عزة دروزه ،نشاه الحركة العربية الحديثة ،ص١١.
(٧٧) خاشع المعاضيدي وآخرون،دراسات في المجتمع العربي ،ص٢٦.
(٧٨) حازم زكي نسيبة، القومية العربية فكرتها- نشأتها- تطورها ،ص٤٤؛ فاضل زكي محمد، الفكر السياسي العربي بين ماضيه وحاضره ، ص١٥.
(٧٩) لبيد إبراهيم احمد وآخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، بغداد، ١٩٩٢، ص٢٠٨-٢١٠؛ محمد طارق قائد بيه ، أركان القومية العربية ثوابت في خضم المتغيرات ، ص٢٥.
(٨٠) محمد عزه دروزه، نشأة الحركة العربية الحديثة، ص١٢.
(٨١) فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، بغداد ، ١٩٨٧، ص٨٦-٨٧؛ عجمي محمود خطاب الجنابي، هارون الرشيد ومؤسسات الخلافة في عهده (١٧٠هـ - ١٩٣هـ)، بغداد ،١٩٨٩ ، ص١٢٩.

(٨٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨، ص٩؛ ساطع ألحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص٢٦٤.

(٨٣) نخبة من شباب الطليعة العربية، القومية العربية والاستعمار، ص١٣.

(٨٤) حازم زكي نسيبة ، القومية العربية فكرتها- نشأتها- تطورها ، ص١١٦-١١٧.

(٨٥) محمد طارق قائد بيه، أركان القومية العربية ثوابت في خضم المتغيرات، ص٣٣.

(٨٦) بكر مصباح تنيره، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى ، بنغازي، ١٩٩٤، ص٤٧.

(٨٧) خاشع المعاضيدي وآخرون، دراسات في المجتمع العربي ، ص٢٥.

(٨٨) مجيد سعيد وآخرون ، التاريخ الحديث ، بغداد ، ١٩٧٣، ص١٥٧-١٥٨.

(٨٩) توفيق سلطان اليوزبكي،دراسات في الوطن العربي الحركات الثورية والسياسية،ص٢٤.

(٩٠) محمد عزة دروزه ،نشأه الحركة العربية الحديثة ،ص٢٠.

(٩١) حازم زكي نسيبة ،القومية العربية فكرتها-نشأتها -تطورها ،ص١١٦.

(٩٢) ساطع الحصري محافظرت في نشؤ الفكرة القومية ،بيروت ط٣،١٩٥٦،ص١٨١.

(٩٣) ساطع الحصري ما هي القومية ،ص٢٥٢؛ ساطع ألحصري حول القومية عربية ،ص١٥٥.

(٩٤) ساطع الحصري المصدر نفسه ،ص١٠٤-١٥٥ ، ساطع الحصري ما هي القومية،ص٤٥.

(٩٥) ساطع الحصري ،دفاع عن العروبة ،ص٦٧.

(٩٦) ساطع ألحصري ،دفاع عن العروبة ،ص٦٨.

(٩٧) ساطع ألحصري ،ما هي القومية ،ص٢٤٩.

(٩٨) ساطع الحصري ،حول القومية العربية ،ص١٢٢؛ عبد الرحمن البزاز ،من وحي العروبة ،ص١٩٤-١٩٦.

(٩٩) ساطع ألحصري ، ما هي القومية العربية ،ص١٢٣.

(١٠٠) عز الدين إسماعيل وآخرون ، ساطع الحصري حجة الفكر القومي المعاصر ،بيروت ،١٩٨٥،ص٤٩-٥٠.

(١٠١) ساطع ألحصري، حول القومية العربية، ص٩٤.

(١٠٢) تيخونوفا، ساطع ألحصري رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي ، ص١٣٠.

(١٠٣) ساطع ألحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، ص١٨١.

(١٠٤) جمال الدين الالوسي، ساطع ألحصري رائد الفكر القومي، ص٦-٨، ساطع ألحصري، العروبة أولا، ص٢٣-٢٤.

(١٠٥) مروان بحيري، الحياة الفكرية في المشرق العربي ١٨٩٠-١٩٣٩، ص١٨٠؛ ساطع ألحصري، الدفاع عن العروبة، ص٦٨-٦٩.

(١٠٦) أبو خلدون ساطع ألحصري، مذكراتي في العراق ج٢ ، ص٤٨١.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص٤٨٢.